﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ١٢٤ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ١٢٥﴾ [التوبة: 124 - 125]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَينِ لِما قَبْلَهُما:

المناسبةُ بين التذبِّ عنِ الحياض، واستقبالِ القلوبِ للقرآن، في حالتَي الكفرِ والإيمان

لَمّا ذكرَتِ الآيةُ السّابقةُ الأمرَ بمجابهة أهلِ الكُفر، والغِلْظةِ عليهم، وكان لا يَحملُ على ذلكَ إلّا ما أشارَ إليه خَتْمُ الآيةِ، منَ التَّقْوى بتجديدِ الإيمانِ، كلَّما نزلَ شيءٌ منَ القرآن، وكان قد ذكرَ سبحانَه المخالفينَ لأمرِ الدّفاع عنِ الدّين، بالتَّخلُّفِ دون أمرِ الإيمانِ، حين قال: ﴿وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ وَقَالُواْ ذَرۡنَا نَكُن مَّعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ٨٦﴾ [التَّوبة: 86]، التفتَ في هذه الآيةِ إلى ذلكَ، ليذكُرَ القِسْمَ الآخَرَ، وهو القاعدُ عنِ الإيمانِ، فقال: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ﴾[1]، فالمناسبةُ بين الآيات، هو بيانُ حالِ المقاتلِ في سبيل الله تعالى، مع نزول القرآنِ، وأنَّ العلاقةَ بين نزول القرآنِ والاستجابةِ للقتالِ، علاقةٌ طَرديَّةٌ، وأنَّ من لم يستجبْ، هو ذاتُه مريضُ القلبِ، الّذي ازداد رِجسًا على رجسه، وضلالًا على ضلاله، عند نزول القرآنِ.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿سُورَةٞ﴾: سور: السِّينُ والواوُ والرّاءُ أصلٌ واحدٌ يدلُّ على عُلوٍّ وارْتفاع. والسّوَرُ: جمعُ سورة، وهي كلُّ منزلةٍ منَ البناء[2]، والسّورةُ كذلك: المنزلةُ الرَّفيعة، وسورُ المدينة: حائطُها المشتمِلُ عليها،

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 16/174، والبقاعيّ، نظم الدُّرر: 9/50.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (سور).

وشُبِّهتْ سورةُ القرآنِ بسورِ المدينةِ بجامعِ الإحاطةِ والحمايةِ في كليْهما، أو لكونِها منزلةً لمنازلِ القمر، ومَنْ قال: سُؤْرَةٌ، فمِن أَسْأَرْت، أي: أَبْقيتُ منها بقيَّةً، كأنَّها قطعةٌ مُفردةٌ من جملةِ القرآن[1].

ومعنى قولِه تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ أي: قطعةٌ منَ القرآن، فإنَّ المرادَ بالسّورةِ معناها القرآنيُّ وهو القطعةُ القرآنيَّةُ النّازلةُ، أمّا السّورة بالمعنى الاصطلاحي فهذه لم تكن إلّا بعد اكتمال نزول القرآنِ كلِّه.

2) ﴿زَادَتْهُ﴾: زود: زِدْتُه فازْدادَ، وزِدْتُه وزوَّدتُه فتزوَّد، والزِّيادةُ: أن ينضمَّ إلى ما عليه الشَّيءُ في نفسِه شيءٌ آخَر، كقولِه تعالى: ﴿وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾ [يوسف: 65]، يقالُ: ازْدَدْتُ فضلًا، أي: زادَ فَضْلي[2]. ومعنى قولِه تعالى: ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا﴾ أي: السّورةُ النّازلةُ، ضمَّت إلى إيمانِه إيمانًا[3]، فالزِّيادةُ الإيمانيَّةُ هي عبارةٌ عن تلاقي الإيمانِ الثّابتِ في القلبِ بمُقتضيات الإيمانِ النّازلِ منِ السَّماءِ، فكانتِ الزِّيادةُ بمعنى الارتفاعِ والنَّماءِ.

3) ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾: بشر وأبشرَ: أَبْشَرْتُ الرَّجُلَ وبَشَّرْتُهُ وبَشَرْتُهُ: أخبرتُه بسارٍّ، بَسَطَ بَشَرَةَ وَجْهِه، وبشَّرْتُه على التَّكثير، وبشَّرتُه عامّ، وأَبْشَرْتُه نحو: أَحْمَدْتُه، وأَبْشَرَ يكونُ لازمًا ومُتعدِّيًا، يُقالُ: بَشَرْتُه فأَبْشَرَ، أي: اسْتَبشَرَ، وأَبْشَرتُه. واسْتَبشَرَ: إذا وجَدَ ما يُبشِّرُهُ منَ الفَرَح، وهو المقصودُ في قولِه تعالى: ﴿فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾، ولذلكَ يقالُ للخَبَرِ السّارّ: البِشارةُ والبُشْرَى، قالَ تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [يونس: 64][4].

4) ﴿مَّرَضٌ﴾: مرض: الميمُ والرّاءُ والضّادُ أصلٌ صحيحٌ يدُلُّ على ما يخرُجُ به الإنسانُ عن حدِّ الصِّحةِ في أيِّ شيءٍ كان منه العلَّةُ، ومرِضَ يمرَضُ، وجمعُ المريضُ مَرْضى، وهذا الخروجُ عنِ الاعْتدالِ الخاصِّ بالإنسان، فيه ضَرْبان: الأوَّلُ: مَرَضٌ جِسْميٌّ، وهو المذكورُ في قولِه تعالى: ﴿وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [النّور: 61]. والثّاني: عبارةٌ عَنِ الرَّذائل: كالجَهْل، والجُبْن، والبُخْل، والنِّفاق، وغيرِها منَ الرَّذائل الخُلُقيَّةِ، نحو قولِه تعالى: ﴿فِى قُلُوبِهِم

(1) الأزهري، تهذيب اللُّغة: (سور)، وابن فارس، مقاييس اللغة، والرّاغب، المفردات: (سور).
(2) الرّاغب، المفردات، والرّازي، مختار الصّحاح: (زود).
(3) الشّوكاني، فتح القدير: 2/589.
(4) الرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (بشر).

مَّرَضُ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة: 10][1]، ومعنى قولِه تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ أي: شَكٌّ ونفاق[2].

5) ﴿رِجْسًا﴾: رجس: الرّاءُ والجيمُ والسِّينُ أصلٌ يدُلُّ على اخْتلاطٍ، ومنَ الباب الرِّجْسُ: القَذَر؛ لأنَّه لَطْخٌ وخَلْطٌ، يُقالُ: رَجُلٌ رِجْسٌ، ورجالٌ أَرْجاسٌ، قالَ تعالى: ﴿رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [المائدة: 90]، وجَعلَ الكافرين رِجسًا؛ من حيث إنَّ الشِّركَ بالعقلِ أَقْبحُ الأشياء[3]، ومعنى قوله تعالى: ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾، أي: كفرًا إلى كُفرِهم، وضلالًا إلى ضلالِهم، وشكًّا إلى شكِّهم، ونفاقًا إلى نفاقِهم، وإثْمًا إلى إثمِهم[4].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

أحوالُ المخاطَبين بالقرآن، ما بين مُزدادٍ به ومُزدانٍ، وبين غارقٍ في الرّجس والكُفران

تُبيِّنُ الآيتان حالَ النّاس الّذين يُظهرون الإيمانَ عند نزول آياتٍ منَ القرآن، فموقفُ المؤمنين هو الازديادُ منَ الإيمان، والازديانُ به، والاستبشارُ بما عند الله تعالى؛ فاتَّحدَ الإيمانُ الباطنُ مع الإيمانِ الظّاهرِ، وأمّا موقفُ المنافقين، فهو على النَّقيضِ من ذلك، إذ زادتْهم رجسًا إلى رجسِهم، وماتوا على الكفرِ؛ لِما أبطنوه من خلاف ما أظهروه، وقد أفادتِ الآيةُ أنَّ القائلين: أيُّكم زادتهُ هذه السّورةُ إيمانًا؟! قالوها على سبيلِ السُّخريةِ والاسْتهزاءِ بالمؤمنين، فهاتان الآيتان هما خلاصةُ حال النّاسِ عند نزولِ القرآنِ، منَ الإيمانِ الظّاهرِ والباطنِ، وهي تُترجمُ أنَّ المؤمن حقيقةً ظاهرًا وباطنًا، هو الّذي يستجيبُ لأمرِ الله تعالى، ولا يتردَّدُ في قَبولِ الحقِّ والعملِ به، وأنَّ أدعياءَ الإيمان، موقفُهم تابعٌ لمصالِحِهم، وراكدٌ في مرابِضِهم.

(1) الرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (مرض).
(2) ابن جرير، جامع البيان: 11/73، والزَّجّاج، معاني القرآن: 2/476.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات: (رجس).
(4) الماورديّ، النُّكت والعيون: 2/416، وابن الجوزيّ، زاد المسير: 3/519، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 8/299.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

دَلالةُ الواو: ﴿وَإِذَا﴾:

ربْطُ المعاني في الآياتِ المُتلاحقةِ، يُبْرِزُ الدّلالاتِ ويُجلّي مَراميَ الآياتِ

الواوُ في قولِه تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ﴾، إمّا أن تكونَ عاطفةً، عطفَتْ جُملتَها على ما سبقَ في قولِه تعالى: ﴿وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ﴾ [التَّوبة: 86]، وهذا عَوْدٌ إلى بيانِ أحوالِ المنافقينَ، وما بينَهما اعْتراضاتٌ[1]، وإمّا أن تكون استئنافيَّةً، عادت إلى بيانِ أحوال المنافقين، والقولُ بالعطفِ من حيث المعنى صحيحٌ، لكنْ يكونُ هناك تباعدٌ كبيرٌ بين المعطوفِ والمعطوفِ عليه، وجعْلُ ما بينَهما اعتراضاتٍ، يزيدُ الأمرَ بُعدًا من حيث الصَّنعةُ، فحملُها على الاستئنافِ هو الأَولى، وذلك لأنَّ الاستئنافَ في حقيقتِه، هو عَوْدٌ على ما ابتُدئَ به سابقًا، فيُؤدِّي معنى القول بالعطفِ، في عوْدِ الكلامِ على سابقٍ، لكن بطريق الاستئنافِ لا الإتْباعِ، وهو الأليقُ بالمقام؛ لطولِ الفصْلِ.

فائِدةُ اسْتعمالِ ﴿وَإِذَا﴾:

المنافقون - على خلافِ المؤمنين - ناطِقون بالتّضليلِ، وخائِضون في الأقاويلِ والأباطيلِ

قولُه تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ﴾، ﴿وَإِذَا﴾ ظرفٌ مستقبَلٌ متضمِّنٌ معنَى الشَّرط، وهو يُستعمَلُ غالبًا في الأمورِ المؤكَّدِ وقوعُها أو الرّاجحِ وقوعُها، وأمّا اسْتعمالُ (إنْ) - وهي حرفُ شرطٍ جازمٌ - فيكونُ في الأمورِ غيرِ المؤكَّدِ وقوعُها أو نُدْرةِ وقوعِها، وهو لا يتناسبُ البتّةَ مع سياقِ الآية الكريمةِ، إذِ استُعملت ﴿وَإِذَا﴾ دون (إن)؛ لبيانِ تحقُّقِ القولِ منهم، وأنَّهم قائلوه يقينًا.

وهذا الفرقُ بين اسْتعمالِ (إذا) و (إنْ)، يتبيَّنُ جَليًّا إذا اجْتمعتِ الأداتانِ في تعبيرٍ واحدٍ، كما في قولِه تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ﴾ [الأعراف: 131]،

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 11/64.

فهنا استعملَ النَّظمُ أداةَ ﴿فَإِذَا﴾ قبلَ قولِه تعالى: ﴿جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ﴾؛ لأنَّ جِنْسَ الحسنةِ وقوعُه كالواجبِ لكَثرتِه واتِّساعِه، فحصولُه مؤكَّدٌ ومرغوبٌ فيه، وأمّا ﴿وَإِن﴾ فجاءَتْ قبلَ قولِه: ﴿تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾؛ لأنَّ السَّيئةَ لا تقعُ إلّا في النُّدْرة[1].

غرَضُ ذكْرِ ﴿مَا﴾ في: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ﴾:

تـأكـيـدُ حـالِ المـنـافـقـين من اسـتـبـعـادِهـم زيـادةَ الإيـمـانِ، عند إنزالِ سورةٍ منَ القرآن

لمّا كان إنزالُ سورةٍ أمرًا مستبعَدًا عند المنافقين، كان استهزاؤهم بأثرِ القرآن في زيادة الإيمانِ، وإنكارُهم ذلك معهودًا منهم، فذُكِرت ﴿مَا﴾ في قولِه تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ﴾ عَقِبَ ﴿وَإِذَا﴾ بغرضِ التَّأكيدِ، وجاءت في صورة الزّيادةِ على التّركيب؛ لتشيرَ إلى ما في نفوس هؤلاء المنافقين من غرابةٍ واستبْعادٍ لمضمون الشّرطِ، أي أنَّ ما يَلي الشّرْطَ أمرٌ لا تسعُه قلوبُهم[2]، أي: لتأكيدِ معنَى ﴿وَإِذَا﴾ وهو الشَّرطُ؛ لأنَّ هذا الخبرَ لغرابتِه، كان خليقًا بالتَّأكيد، ولأنَّ المنافقين يُنكرونَ صدورَه منهم[3]، وكذلكَ فإنَّ هذا التَّأكيدَ بذكْرِ ﴿مَا﴾، تنبيهٌ على فَضْلِ الإيمان[4]، وفيها إشارةٌ إلى عُموم أوقات النُّزولِ، أي: إذا ما أنزلت في أيِّ وقتٍ كان، وفي أيِّ حالٍ؛ فإنَّ قولَ المنافقين ثابتٌ لا يتغيَّرُ؛ إذ هم حربٌ على دينِ اللّه تعالى، فلو كانتِ السّوَرُ النّازلةُ تُعطيهم نوعَ مصلحةٍ؛ فإنَّهم قائلون ما قالوا.

نُكتةُ اختيارِ (أُنزِلَ)، وبنائِه للمفعولِ: ﴿أُنزِلَتْ﴾:

عجَلةُ المنافقين في قولِهم هذا، مهما يكُ من إنزالِ السّورة في أوّلِها أو آخرِها

لمّا كانَ قولُه تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ﴾ بيانًا لِمُطْلَقِ النُّزول، بُنِيَ الفعلُ ﴿أُنزِلَتْ﴾ للمفعول، أي: أُنْزِلتْ قِطعةٌ منَ القرآن، أي: في معنًى

(1) الزَّمخشري، الكشّاف: 2/106.

(2) وردت (ما) عقيب (إذا) في القرآن ثلاث مرّات، مرتان في سورة التوبة [124، 127]، والأخيرة في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الشورى: 37]، فقد أكّدت (ما) الشرط، وفي الوقت نفسه أشارت إلى غرابة وقوع الغضب منهم، إذْ ظهر غضبهم بحقٍّ وكأنَّه زائد عن طبعهم.

(3) البقاعي، نظم الدُّرر: 9/50.

(4) البقاعي، نظم الدُّرر: 9/50.

منَ المعاني لا على الإطلاقِ دونَ تَعْيينٍ أو تقْييدٍ[1]، واخْتيرَ الإنزالُ لا التَّنزيلُ لبيانِ أنَّ هذه القطعةَ منَ القرآنِ نزلت مرَّةً واحدةً، وهم سمِعوها كاملةً، فقالوا قولَهم الذي قالوا، وفيها إيماءٌ إلى أنَّ قيلَ المنافقين يَصدرُ عنهم دون أدنى تردُّدٍ أو تباطُؤٍ، فعندَ الإنزالِ يأتي قولُ أهل الخِذلانِ، ولا فرق بين أوَّل السورة وآخرِها.

غرَضُ تنكيرِ لفظِ ﴿سُورَةٌ﴾:

أيُّ سورةٍ تنزلُ، فإنَّ موقفَ المُنكرين هو الازدراءُ بها، والتّطاوُلُ على مضامينِها

المرادُ بسورة في قولِه تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ طائفةٌ منَ القرآنِ المُعجِزِ المحيطِ بجُملةٍ منَ الحُجج ورفعِ الشُّبَه[2]، أي: إذا أُنزلَتْ سورةٌ ما منَ القرآن فإنَّ تنكيرَ ﴿سُورَةٌ﴾ يُفيدُ العُمومَ، وسوَرُ القرآنِ كلُّها لا تخْلو عن دعاءٍ إلى الإيمانِ والصّالحاتِ، والإعجازِ ببلاغتِها وبيانِها[3]، والمرادُ بالعمومِ أنَّ أيَّ سورةٍ تنزلُ فإنَّ موقفَ المنافقين منها ثابتٌ في رفضِها والازدراءِ بمعانيها.

معنَى (الفاءِ)، و(مِنْ): ﴿فَمِنْهُم﴾:

إذا جاء الحقُّ نتَقَ خبايا الباطلِ، وأبانَ عن خِسَّتِه

(الفاءُ) في قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُم﴾ رابطةٌ لجوابِ الشَّرطِ في ﴿وَإِذَا﴾[4]، وهي تفيدُ ترتُّبَ ما بعدَها على ما قبلَها، و(مِنْ) تبعيضيَّةٌ، أي: بعضُ المنافقين[5]، والمعنى إذا ما تحقَّق إنزالُ سورةٍ لدى المنافقين فيبادرُ بعضُهم لقولِ ما يُريد قولَه جميعُهم، فنيابةُ بعض المنافقين عن بعضِهم الآخرِ في القولِ، يدلُّ على اشتراكِ الجميعِ في مضمونِه.

تَعيينُ مرجعِ الضَّميرِ، من شِبْه الجملة ﴿فَمِنْهُم﴾:

إضمارُ التَّصريحِ بالمنافقين، مُناسِبٌ لإضمارِهم حقائقَ أنفُسِهم

قولُه تعالى: ﴿فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ﴾، أي: بعضُ المنافقين للعِلمِ بالمَعادِ

(1) البقاعي، نظم الدُّرر: 9/51.
(2) القاسميّ، محاسن التّأويل: 5/531.
(3) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 9/51، وابن عاشور، التَّحرير والتّنوير: 11/64.
(4) درويش، إعرابُ القرآن: 4/196.
(5) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 16/174.

مِنَ المَقام[1]، وسبق بيانُ احتمال الواو، في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ﴾ للاستئنافِ أوِ العطفِ، وأنَّ المعنَيين يتَّفقان في كَونِ هذه الآيةِ مردودةً إلى آيات سابقةٍ، في قيلِ المنافقين، ومثلُ هذه الأقوالِ لا تصدُرُ إلا عن قلوبٍ مُرتابةٍ، ونفوسٍ مُظلمةٍ؛ فكأنَّ الآيةَ تومئ إليهم باعتبارِهم مَعهودين، ولسانُ الحالِ يقول: وهل سِواهم يقول هذا القولَ، فالإضمارُ أبلغُ منَ الإظهار، وأنسبُ بحال المنافقين، فهم أضمروا أنفسَهم، والنَّظمُ أضمرَ التَّصريحَ بهم.

معنَى ﴿مَّن﴾ في قولِه تعالى: ﴿مَّن يَقُولُ﴾:

المنافقون مُبهَمون في الشُّخوص والتَّصرُّفاتِ، وقلوبُهم مَلْأى بالأسقامِ والآفاتِ

معنى الاسمِ الموصولِ ﴿مَّن﴾ في قولِه تعالى: ﴿فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ﴾ أي: الَّذين يقولون؛ لأنَّهم فريقٌ منَ المنافقين، وجيءَ بالاسْمِ الموصولِ ﴿مَّن﴾ دونَ الاسمِ الموصولِ الصَّريحِ لتغشيةِ معنى العمومِ والإبهامِ عليه، فإنَّ العمومَ والإبهامَ مُرادان في هذا السِّياقِ، و﴿مَّن﴾ أعمُّ وأبْهمُ من (الّذي)؛ ومنَ المناسبِ اختيارُ ما يُناسبُ حالَ المنافقين منَ العمومِ والإبهامِ.

سِرُّ العُدولِ عنِ الجمعِ إلى الإفرادِ، في الفعلِ ﴿يَقُولُ﴾:

ما صدَرَ عن بعضِ المنافقين، يُمثِّلُ مَجموعَهم بيقينٍ

عدَلَ النَّظمُ في قولِه تعالى: ﴿فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ﴾، عن إسنادِ فعلِ القول (يقولون) لواو الجمع إلى المفرد؛ لتنزيلِ المنافقين القائلين، منزلةَ الرَّجلِ الواحدِ، فكأنَّهم شخصٌ واحدٌ، تكلَّم على لسانِ بقيّتِهم، وكانوا يقولون ذلك لبعضِهم الآخرِ، إنكارًا واسْتهزاءً: أيُّكم زادتْه هذه السّورةُ إيمانًا؟! لتثبيتِ قومِهم على النِّفاق، أو يقولونَها لقراباتِهم المؤمنين، يَسْتقيمونَ إليهم، ويَطمعونَ في ردِّهم إلى النِّفاق[2].

(1) أبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/618، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 11/64.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 5/529.

دَلالةُ (أيُّ) في سياق السّؤال:

قولُه تعالى: ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ﴾، اسْتفهامٌ على سبيلِ الاسْتهزاء، مُتضمِّنٌ معنَى إنكارِ أن يكونَ نزولُ سوَرِ القرآنِ يزيدُ سامِعيها إيمانًا، توهُّمًا منهم بأنَّ ما لا يَزيدُهم إيمانًا لا يزيدُ غيرَهم إيمانًا، وفي ذلك تشكيكٌ بأمرَيْن: الأوَّلُ: بنزولِ القرآنِ منَ الرَّحمن، والثّاني: بأثرِ القرآنِ على السّامِعين له، وهم بذلك يَقيسونَ على أحوالِ قلوبِهم[1].

الاسْتفهامُ يُخرجُ ما في أضْغانِ المُنافقين، وحقيقةَ موقِفِهم من نزولِ القرآن المبينِ

نُكتةُ استعمالِ مُفردة الزِّيادةِ في الفعلِ ﴿زَادَتْهُ﴾:

استعملَ لفظَ الزِّيادة دونَ مرادفاتِه ومقارَباتِه لبيانِ عمومِ زيادةِ الإيمان، بأنواعٍ متعدِّدةٍ، فالمقصودُ بزيادة الإيمانِ حدوثُ تَصديقٍ خاصٍّ لم يكنْ قبلَ نزولِ السّورة من قصصٍ وتجديدِ حُكْمٍ منَ اللّه تعالى، أو عبارةٌ عن تنبيهٍ على دليلٍ تضمَّنتهُ السّورةُ، ويكونُ قد حصلتْ له معرفةُ اللّه بأدلَّةٍ، فنَبَّهتْه هذه السّورةُ على دليلٍ رادٍّ في أدلَّتِه، أو عبارةٌ عن إزالةِ شكٍّ يسيرٍ، أوْ شُبهةٍ عارضةٍ غيرِ مُستحكِمةٍ، فيزولُ الشَّكُّ وترتفعُ الشُّبهةُ بتلك السّورة، وذلك كلُّه لا يَرْوي قلوبَ أولئك المنافقين؛ بل يجعلونَه دليلًا على عدمِ تأثيرِ السّورةِ النّازلةِ في إحداثِ زيادةٍ في إيمانِ السّامعين، ولكنْ هو كذلك فيمن أَبْطَنوا الكفرَ وأَظْهروا الإيمانَ كذِبًا وزورًا، ومَنْ كانَ على شاكلتِهم[2]، وهذه المعاني شَمِلَها لفظُ الزِّيادة.

اشتمالُ فعْلِ الزِّيادةِ على أغراضٍ كثيرةٍ، تُسهمُ في تقوية إيمانِ المؤمنين

نُكتةُ استعمالِ صيغةِ الماضي في الفعلِ ﴿زَادَتْهُ﴾:

اسْتعمالُ صيغة الماضي في قولِه تعالى: ﴿زَادَتْهُ﴾ بدخولِه على الضَّميرِ (الهاء) العائدِ إلى المنافق المفهوم من قوله تعالى: ﴿أَيُّكُمْ﴾؛ للدَّلالةِ على تحقُّقِ ما صَبتْ إليه قلوبُهمُ المنافقةُ من

التَّحقُّقُ بعدمِ ازْديادِ إيمانِ من نَزلتْ عليهمُ السّورةُ، لانْطماسِ بصائرِهم المذكورةِ

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 11/65.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 5/529.

أنَّ هذه السّورةَ لم تُحقّقْ ما يُرْجَى من نُزولِها وهو زيادةُ الإيمانِ في قلوبِ السّامعين، فهو خطابٌ يحملُ في طيّاتِه التَّهكُّمَ بالمؤمنينَ وبالقرآن، وذلك أنَّ القرآنَ قد صرَّحَ في بعضِ آياتِه بأنَّ القرآنَ يزيدُ المؤمنينَ إيمانًا، كما في قولِه تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الأنفال: 2][1].

بيانُ استخفافِهم، بأن تكونَ السّورةُ سببًا في ازْديادِ الإيمان، عند المُبلَّغين

نُكتةُ استعمالِ اسمِ الإشارة:

قولُه تعالى: ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا﴾، استعمالُ اسمِ الإشارةِ يكونُ للمحسوساتِ المَرئيّةِ، وفي هذه الآية أُشيرَ إلى المعنوياتِ المسموعةِ، فهو تشبيهُ المعقولِ بالمحسوس؛ لوضوحِ المُشارِ إليه وشدّةِ حضورِه في ذهنِ المخاطَبين، فهو تجسيدٌ للسّورةِ، وتشخيصٌ لها، ومقصودُ المنافقين بقيلِهم هذا التَّهكمُ بالنّازلِ، والاستهانةُ بمن نزلت عليه، سُخريةً واستهزاءً.

دَلالةُ إيثارِ لفظِ ﴿إِيمَٰنًا﴾:

سُؤالُ المنافقين عنِ الإيمانِ، باعتبارِه الأصلَ الّذي عليه مَدارُ القَبولِ

مُقتضى الظّاهرِ والحالِ أن يكونَ السُّؤالُ عنِ الإيمانِ لا الإسلامِ، وذلك أنَّ السّائلين منَ المنافقين إنَّما يسألون عن حالِ أقرانِهم منَ المنافقين اطْمئنانًا في عدمِ التَّأثُّرِ، وعن حالِ المؤمنين تهكُّمًا، فإنَّ نزولَ القرآنِ يؤثّرُ ابتداءً في إيمانِ المؤمن، وهو المُعتبَرُ عند النّزول، كما قالَ تعالى: ﴿۞قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ﴾ [الحُجرات: 14]، فالإيمانُ والزِّيادةُ فيه هي من سِمات المؤمنين، وأمّا إيرادُ الزِّيادةِ هنا في حقِّ المنافقينَ مع أنَّه لا إيمانَ فيهم أصلًا إنَّما هو باعْتبارِ اعْتقادِ المؤمنين[2] الَّذي قالَ اللّه فيهم في الآية نفسِها: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ وباعْتبار أنَّ قولَ المنافق ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 11/65.
(2) أبو السُّعود، إرشاد العقل السليم: 4/113.

﴿إِيمَٰنًا﴾ تشكيكٌ في كوْنِ السّورة تزيدُ منَ الإيمان، وتشكيكٌ كذلك في القرآنِ وأنَّه من عندِ الله.

بَلاغةُ النَّظْمِ في تركِ ذكْرِ الجوابِ، وتضْمينِ الكلام الإجابةَ:

قد يَطوي القرآنُ جوابَ سؤالٍ مذكورٍ، مُسارَعةً في بيانِ المقصودِ وتوضيحِ المطلوبِ

لمّا كان سياقُ الآية عن سؤالِ بعض المنافقين عند إنزال سورةٍ منَ القرآن: أيُّكم زادتْه هذه إيمانًا؟! إمّا على قولِ بعضِ المنافقين لبعضٍ، ومقصودُهم تثبيتُ قومِهم على النِّفاق، وإمّا أنَّ ما يقولونَه هو لأقوامٍ منَ المسلمين، وغرضُهم صرفُهُم عنِ الإيمان، وإمّا أنَّ ما ذكروه هو على وَجْهِ الهُزءِ، والكلُّ مُحتَمَلٌ، والنَّظمُ لم يذكرْ جوابًا على ذاك السُّؤال؛ لأمرين: الأوَّلُ إعراضًا عنهم وتهوينًا لشَأنِهم وشأنِ سؤالِهم القائمِ على التَّشكيكِ والاسْتهزاء. والآخرُ: أنَّ الأهمَّ من جوابِهم على سؤالِهم، هو النّتيجةُ المُتوخّاةُ والخبرُ الفصلُ المفيدُ، ولذلك جاءَ الجوابُ منَ الله تعالى في تصويرِ أثرِ ما يحصُلُ من نُزولِ سورةٍ من سوَرِ القرآن، وهو ينتظمُ في وجهَيْن: الوجه الأول، وفيه أمران: الأوَّلُ: أنَّها تزيدُ المؤمنين إيمانًا؛ بقولِه تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ إذْ لا بدَّ عند نُزولِها من أن يُقِرّوا بها ويعترفوا بأنَّها حقٌّ من عندِ الله، والأمرُ الآخرُ: ما يحصُلُ لهم منَ الاستبشارِ بقوله: ﴿وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾، وهو إمّا اسْتبشارٌ بثوابِ الآخرة، أوِ اسْتبشارٌ بما يحصُلُ في الدُّنيا منَ النَّصرِ والظَّفَر، أو اسْتبشارٌ بزيادةِ الثَّواب بزيادةِ التَّكاليف. والوجهُ الثّاني: وفيه أمران: الأوَّلُ أنَّها تزيدُ المنافقين رِجْسًا إلى رِجْسهم، أي: كفرًا إلى كفرِهم، وسوءَ خُلُقٍ إلى سوءِ خُلُقِهم، والأمرُ الآخرُ: أنَّهم يموتونَ على كفرِهم، وهذه الحالةُ أسوأُ الحالات، فهي عبارةٌ عن مُداومةِ الكفرِ وموتِهم عليه، وكلاهما مُضَمَّنٌ في الخبر: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾[1].

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 16/174.

معنى الفاءِ في لفظ ﴿فَأَمَّا﴾:

الفاءُ في قولِه تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ للتَّفريعِ المفيدِ للتَّقسيمِ على اسْتفهامِ المنافقين[1]، وفيه تقريعٌ لهؤلاء المنافقين المُستهزئين، بأنّ الأمرَ جدُّ خطيرٍ، فإمّا قلبًا مؤمنًا يتلقَّى القرآنَ عند نزولِه، فيزدادُ إيمانًا، وإمّا قلبًا مريضًا لا يؤمنُ بهذا القرآن، فيزدادُ رجْسًا إلى رجْسِه.

تفريعٌ عن استهزاء المنافقين، بكوْنِهم نوعين إمّا قلبًا صحيحًا مؤمنًا، وإمّا قلبًا مريضًا

بَلاغةُ أسلوبِ الحكيمِ في سياق الآيةِ الكريمِ:

قولُه تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، وفيه حَمَلَ النَّظمُ اسْتفهامَ المنافقينَ على ظاهرِ حالِه وصَرَفَه عن مقصدِهم منه، وتلكَ طريقةُ الأسلوبِ الحكيم، وهو تَلَقِّي المُخاطَبِ بغيرِ ما يترقَّبُ بحملِ كلامِه على خلافِ مُرادِه لِنُكتةٍ، وهي إبْطالُ ما قصدوهُ من نفْيِ أنْ تكونَ السّورةُ تزيدُ أحدًا إيمانًا، قياسًا على أحوالِ قلوبِهم، فأُجيبَ اسْتفهامُهم بهذا التَّفصيلِ المتفرِّعِ عليه، فأثبتَ أنَّ للسّورةِ زيادةً في إيمانِ بعضِ النّاسِ، وأكثرَ منَ الزِّيادة، وهو حصولُ البُشرَى لهم. وارْتَقَى في الجوابِ عن مقصدِهم منَ الإنكارِ بأنَّ السّورةَ ليست مَنفيًّا عنها زيادةٌ في إيمانِ بعضِ النّاسِ فقط؛ بل الأمرُ أشدُّ إذْ هي زائدةٌ في كُفرِهم، فالقسمُ الأوَّلُ المؤمنونَ زادتْهم إيمانًا، وأكْسَبَتْهم بُشرَى فحصلَ منَ السّورةِ لهم نفعانِ عظيمان، والقسمُ الثّاني الَّذين في قلوبهم مرضٌ زادتْهم رِجْسًا إلى رِجْسِهم وماتوا وهم كافرون[2].

الحوارُ الحكيمُ هو إبقاءُ كلامِ الخصمِ، وتلقينُه الحقَّ، بإلزامٍ قويمٍ

معنَى ﴿فَأَمَّا﴾ في سياق الآيةِ الكريمةِ:

قولُه تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، نجدُ ﴿فَأَمَّا﴾ حرفَ شرطٍ وتفصيلٍ وتوكيد، يتضمَّنُ معنى الجزاء، وتلزمُ الفاءُ في جوابِه،

الاغتدادُ بكلامِ اللهِ تعالى، وما دونَه ممّا يُخالِفُه فمتروكٌ مَرذولٌ

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 5/529، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 11/65.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 11/65.

كما في قولِه هنا: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا﴾[1]، وكأنَّ الآيةَ تقولُ: دَعْ أيُّها القارئُ أوِ السّامعُ كلامَ المنافقين وسُخريتَهم بنزولِ سورِ القرآن، وأنَّها لا تزيدُ إيمانَ أحدٍ، وخُذِ الحقيقةَ النّاصعةَ الخالدةَ من جوابِ ربِّ العالمين: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾، ثم ذكرتِ الصِّنفَ الآخرَ منَ المنافقين، لبيانِ أنَّهم صنفان، تفصيلًا وتوكيدًا لحالِ الفريقين منَ الاختلافِ البيِّنِ.

نُكتةُ اسْتعمالِ الموصولِ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾:

الاحـتـراسُ من دخـولِ كـلِّ المـؤمـنـين في الظّاهرِ، في حيِّزِ الثّناءِ

جاءَ الجوابُ عن سؤالِ المنافقين: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ باسْتعمالِ الاسمِ الموصولِ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بدلَ أن يُقال: (المؤمنون)؛ لتعيينِ المؤمنين بأنَّهم الذين آمنوا باللّه تعالى ورسخ إيمانُهم في قلوبِهم، فهم معروفون بصفاتِهم وأحوالِهم وسُلوكيّاتِهم، فلا يدخلُ في ذلك كلُّ من أطلق على نفسه مسمّى الإيمان؛ لأنَّ بعضَ مدّعي الإسلام يُظهرُ الإيمانَ ويُخفِي الكفرَ، فكان ذكرُ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ دون (المؤمنين)؛ للاحتراسِ من دخولِ جميعِ المؤمنين في الظّاهر، وللمفارقةِ بين الفريقَين، وهو "وصفٌ فيه تعيينٌ لحالهم عاجلًا وآجلًا"[2]، بما يَكشِفُ عن زيادةِ الإيمانِ في قلوبهم في الدُّنيا، واسْتبشارِهم بما فيه الخيرُ لهم في الآخرة، وبما انْطوى عليه ذلك منَ الثَّناءِ عليهم بإيمانهم.

فائِدةُ اسْتعمالِ صيغةِ الماضي، بدلًا منَ المضارعِ في السّياق:

الـزِّيـادةُ الإيـمـانـيَّـةُ، لا تـكـونُ إلّا بـعْـدَ تحقُّقِ الإيـمـانِ في القلوبِ

قولُه تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، أفادَ اسْتعمالُ صيغة الماضي، في قولِه تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، تحقُّقَ الإيمانِ في قلوبِهم وثباتَهم عليه، وتحقيقًا للحقِّ الَّذي التزَموا به في حياتِهم[3]، وهو إيماءٌ إلى

(1) الفيروزابادي، القاموس المحيط: (أمم)، وعبد الغني أبو العزم، المعجم الغني: (أمّا).
(2) أبو السُّعود، إرشاد العقل السليم: 2/618.
(3) أبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/618.

أنَّ زيادةَ الإيمانِ لا تكون إلّا لمن كانت عنده قاعدتُه، وثبتتْ في قلبِه أصولُه.

معنَى الفاءِ في لفظ ﴿فَزَادَتْهُمْ﴾:

تلقّي القرآنِ، كفيلٌ بزيادةِ الإيمانِ في قلوبِ المؤمنين

الفاءُ في قولِه تعالى: ﴿فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ رابطةٌ لجوابِ الشَّرطِ، وهي تفيدُ الإثباتَ والتَّأكيدَ في زيادةِ الإيمانِ للمؤمنين بزيادةِ العلْمِ اليقينيِّ الحاصلِ من سماعِ سورِ القرآنِ والتَّدبُّرِ فيها والوقوفِ على ما فيها منَ الحقائقِ وانْضمامِ إيمانِهم بما فيها بإيمانِهمُ السّابق[1].

بَلاغةُ الجملةِ الحاليَّة، المُصدَّرةِ بواو الحال، في الإخبارِ عنهم:

بيانُ الإيقانِ بحصولِ البُشرى للمؤمنين، في الدُّنيا وفي يومِ الدّينِ

الجملةُ الحاليَّةُ ﴿وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾، جمعتْ مع الواوِ الحاليَّةِ الضَّميرَ المنفصلَ ﴿وَهُمْ﴾، وهو مبتدأٌ، والفعلَ المضارع ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ الَّذي يُفيدُ التَّجددَ والاسْتمرارَ، وهو خبرُ المبتدأ، فكانت مُكوِّناتُ الجملةِ مع اسْميَّتِها تعبيرًا على تحقّقِ حصولِ البُشرى للمؤمنين في الدُّنيا والآخرة، بما زادتْهم منَ الخيرِ الباقي الَّذي لا يَعدِلُه شيءٌ[2].

تَقويةُ الحُكمِ الإسْناديِّ في الجُملة الاسميّة:

البُشْرَى بُنيتْ على زيادةِ الإيمانِ، واسْتحكمتْ بأصحابِها بإيقانٍ

أفادَ تقديمُ المسنَدِ إليه مع مجيءِ المُسندِ فعلًا تقويةً للحُكمِ، فلَما أثبتَتِ الآيةُ أنَّ للسّورةِ زيادةً في إيمانِ بعضِ النّاس، أضافَ ما هو أكثرُ منَ الزِّيادة، وهو حصولُ البُشرى لهم، فكانَ نفعانِ عظيمانِ أحدُهما مبنيٌّ على الآخر، فالبُشْرَى بُنيتْ على زيادةِ الإيمان، وهي ليست بُشرى مؤقَّتةً؛ بل هي متجدِّدةٌ مستمرَّةٌ حتَّى إنَّها صَبغَتْ حالَهم فأصبحَ قائمًا على البُشرَى والاسْتبشار[3].

سِرُّ التَّعبيرِ بلفظ ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾:

ذكْرُ الاستبشارِ لبيانِ فضلِ اللهِ تعالى على المؤمنين، من قَبولِ الإيمانِ بذكْرِ ثَمرتِه

جاءَ التَّعبيرُ بالاسْتبشارِ في قولِه تعالى: ﴿وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾، دونَ الإيمانِ فلم يقلْ: (وهم مؤمنون)، كما جاء في فاصلةِ الآيةِ الَّتي

(1) أبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/619، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 11/65.
(2) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 9/51، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 11/65.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 11/65.

تَليها ﴿وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾، فتقعُ المقابلةُ؛ لأنَّ زيادةَ الإيمانِ، حاصلةٌ عند سماعِ القرآنِ وتدبُّرِه، والأَرْجَى من مُجرَّدِ زيادةِ الإيمانِ، بيانُ حالٍ زائدةٍ على زيادةِ الإيمان، وهو الاسْتبشارُ الَّذي هو أثرٌ لزيادةِ الإيمان، محفِّزٌ لأخذِ الأسبابِ الموصلةِ إليه، بما تُحقِّقُهُ منَ السَّكينةِ والطُّمأنينة، فأصبحَ في مقابَلةِ حالِ ﴿وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾، قولُه: ﴿وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾، فهو ارْتقاءٌ لأهلِ الإيمانِ ورفعٌ لحالِهم[1]، وهذا من فضلِ اللّه على المؤمنين، ولو قال: (وهم مؤمنون)، لمراعاة المقابلةِ لما أفاد هذه النّكتةَ البديعةَ، منَ الإفضالِ على المؤمنين، بذكْرِ الاستبشار بعْدَ الإيمان، فهو ذكْرٌ لثمرةِ الإيمانِ، لتكونَ دليلًا على قَبولِ الإيمانِ.

نُكتةُ التَّعبيرِ بصيغةِ المضارعِ ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾:

الإيماءُ إلى أنَّ المؤمنين يَستبشِرون عند المماتِ، لِما وُعِدوا به منَ النّعيم فيما هو آتٍ

ساقَتِ الآيةُ الحديثَ عنِ اسْتبشارِ المؤمنينَ بصيغةِ المضارع؛ لأنَّها تُفيدُ التَّجدُّدَ والاسْتمرارَ في اسْتبشارِهم بعدَ زيادةِ الإيمانِ بسماعِهم القرآنَ، فأصبحَ حالُهم على شاكلةِ الاسْتبشارِ الدّائمِ الَّذي لا ينقطعُ[2]، وفيه إيماءٌ إلى أنَّ الاستبشارَ مستمرٌّ معهم بحيث يموتون وهم كذلك، فتَحسنُ المقابلةُ مع قولِه تعالى في الآيةِ اللّاحقة: ﴿وَمَاتُواْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾، فالمؤمنون يموتون وهم يَستبشرون، والمنافقون يموتون وهم كافرون.

دَلالةُ زيادةِ حرفَيِ السِّينِ والتّاءِ في لفظ ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾:

تأكيدُ حصولِ الاسْتبشارِ في نفوس المؤمنين، مَقصدٌ في الآية، للبيانِ المُبِينِ

الاسْتبشارُ: أَثَرُ البُشرَى في النَّفْس، فالسِّينُ والتّاءُ للتَّأكيد، أي: تأكيدُ حصولِ الاسْتبشارِ وتمكُّنِه منهم[3]، فهو استبشارٌ صادرٌ عن وعدِ اللّه تعالى بتحقُّقِه، ومقتضى التَّوكيدِ أن يثبتَ في نفوس

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 9/52.
(2) الزَّمخشريّ، الكشّاف: 2/222.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 11/66.

المؤمنين ما وعدَهم الله تعالى صِدقًا وحقًّا، وتوكيدًا في الإخبارِ عن وقوعِه للمؤمنين.

فائدةُ حذْفِ مُتعلَّقِ الفعلِ ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾:

الحذفُ أبلغُ من الذِّكر، لتضمُّنِه معانيَ مقصودةً، لا تتحقَّقُ إلّا بالحذْفِ

لم يُذكرْ مُتعلَّقُ فعلِ الاستبشارِ في قولِه تعالى: ﴿وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ إمّا ليُفيدَ العمومَ، أي: عمومَ الاستبشارِ ببشائرِ الدُّنيا والآخرةِ من ظهورِ الدِّين والنَّصرِ والتَّمكينِ وغيرِ ذلك منَ البشائرِ في الدُّنيا، ومن مغفرةِ الذُّنوبِ والرَّحمةِ الواسعةِ ودخولِ الجنّاتِ ونيْلِ النَّعيمِ والمكرُماتِ في الآخرة، وهي على الإجمالِ تنتظمُ بما تضمَّنتْهُ من رحمةِ اللهِ ورِضوانِه[1]، وإمّا لتنزيلِ الفعْلِ المُتعدّي منزلةَ الفعْلِ اللازمِ، أي: أنَّ أحوالَهم وسلوكَهم هو الاستبشارُ، وإمّا أن يُحملَ على تقديرٍ خاصٍّ وهو؛ وهُم يَستبشرون بجنّات النَّعيمِ ورضوانِ ربِّ العالمين، باعتبارِه غايةَ المؤمن في هذه الحياة.

دَلالةُ العطفِ، في جُملةِ توطُّنِ المرضِ في قلوبِهم:

لا يَظهرُ الحقُّ إلّا بعد تبايُنِ الرِّجالِ، واختبارِ الأحوالِ

جاءَ العطفُ في قولِه تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ على الجملةِ الأولى بعدَ فاءِ التَّفريعِ ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾، تتمَّةً للتَّفريعِ السّابقِ، مُغايرًا لما عُطِفَ عليه، فهنا حديثٌ عنِ المنافقين، وهناك حديثٌ عنِ المؤمنين[2]، وبالمعطوفَين يتحقَّقُ الموقفُ من إنزالِ سورِ القرآنِ وآياتِه، فالمُتظاهِرون بالإسلامِ ليسوا جميعًا بمؤمنين على الحقيقةِ، فغرضُ العطفِ بيانُ أنَّ المجتمعَ المسلمَ ليس هو المجتمعُ المؤمنُ، وأنَّ على المجتمعِ المؤمنِ أن يحذرَ من مُكوِّناتِ المجتمعِ المسلمِ، حتى يتباينَ الرِّجالُ، وتَتَبَيَّنَ الأحوالُ.

إذا تغلغلَ النِّفاقُ في القلوبِ، طالَ العلاجُ، واستعصَى الشِّفاءُ المطلوبُ

نُكتةُ التَّعبيرِ بحرفِ الظَّرفيَّةِ (في):

قولُه تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾، وفيه عُبِّرَ بحرفِ

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 5/529، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 11/66.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 5/529.

الظَّرفيَّةِ ﴿فِي﴾ في قوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ لبيانِ تَغَلْغُلِ النِّفاقِ في مَكْنونِ قلوبِ أصحابِه، حتَّى أصبحتْ قلوبُهم مَسْكنًا لتلك الآفةِ، فمنَعَهم ذلكَ منَ الإيمان، ومكَّنَ فيهم دعائمَ الكُفْران[1]، فبيَّن هذا الحرفُ أنَّ علاجَ الأمراض يحتاجُ إلى مُكنةٍ وطولِ زمانٍ.

فائِدةُ جمعِ ﴿قُلُوبِهِم﴾:

تمكُّنُ النِّفاقِ في قلوبِ المنافقين، لا يَعني إلّا أنّ قلوبَهم شتّى

قولُه تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾، جاءَ التَّعبيرُ بجمعِ القلوبِ، في هذه الآية الكريمة، وذلك للدّلالةِ على أنَّ المنافقين مُتباينون في درجة نفاقِهم، فهم ليسوا على درجةٍ واحدةٍ، وأنَّ النِّفاقَ وإن تغلْغلَ فيها إلّا أنَّه بنِسبٍ مُتباينةٍ، هذا من جهةٍ، ومن جهةٍ أخرى، لبيانِ أنَّ مَرَضَ النِّفاقِ قدِ اسْتَشْرَى في قلبِ كُلِّ واحدٍ منهم، فهي دَلالةٌ تنتظمُ كلَّ فَرْدٍ على جهةِ العُموم، أي: في قلوبِ الجميعِ، ولبيانِ أنَّهم مع اشْتراكِ قلوبِهم في هذا المرضِ، فهم ليسوا على قَلْبٍ واحدٍ؛ بل لكلِّ واحدٍ منهم أطماعُه ومصالحُه الخاصَّةُ به يُخالفُ فيها غيرَه من أهلِ ملَّتِه، وهذا على شاكلةِ قولِ اللّه تعالى في اليهود: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ [الحشر: 14][2].

نُكتةُ التَّعبيرِ بلفظِ ﴿مَّرَضٌ﴾:

لكلِّ مرضٍ علاجٌ، وقيمةُ الهدايةِ، في علاجِ النِّفاقِ، واضحةٌ جليّةٌ

قولُه تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾، وردَ التَّعبيرُ بلفظِ ﴿مَّرَضٌ﴾ دونَ نفاقٍ، مع أنَّ المرادَ به النِّفاقُ؛ لأنَّ المرادَ بالمرضِ في هاته الآيةِ، هو معناه المجازيُّ لا محالةَ؛ لأنَّه هو الَّذي اتَّصفَ به المنافقون، وهو المقصودُ من مَذَمَّتِهم وبيانِ مَنْشأِ مَساوي أعمالِهم[3]، ولهذا التَّعبيرِ نكتةٌ وهو بيانُ أنَّ النِّفاق الموصوفَ بأنَّه مرضٌ يتطلّبُ العلاجَ، فما من مرضٍ إلّا وله علاجٌ، وبه تظهرُ القيمةُ الهدائيَّةُ في شأنِ علاجِ المنافقين.

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 9/51.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 1/97، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 16/174.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 1/279.

غرَضُ تنكيرِ لفظ ﴿مَّرَضٌ﴾:

قولُه تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾، وفيه جاءتْ كلمةُ ﴿مَّرَضٌ﴾ نكرةً؛ لإفادةِ النَّوعِ، فهو مرضٌ ذو نوعٍ خاصٍّ لا يكونُ إلّا بأسبابٍ روحيَّةٍ، وعللٍ إيمانيَّةٍ، فالمرضُ الموجودُ في قلوبِهم نوعُ مرضٍ يكونُ نطفةً للأمراضِ الأُخَر، وبِذرًا للآلامِ الكثيرةِ المترتِّبةِ عليه، الموجبةِ للزِّيادةِ والنُّموّ، أي: يدلُّ التَّنكيرُ على أنَّ جميعَ أجناسِ المرضِ في قلوبِهم، فهو تنكيرُ تنويعٍ أو تكثيرٍ[1].

ويُمكنُ أنْ تكونَ دَلالةُ النَّكرةِ في ﴿مَّرَضٌ﴾ على ما وُضعتْ له، أي: هي دَلالةٌ على طريقةِ البَدَل؛ لأنَّها دَلالةٌ تنتظمُ كلَّ فَرْدٍ فَرْدٍ على جهةِ العُموم[2].

قلوبُ المنافقين مُصابةٌ بأمراضٍ كثيرةٍ، أبرزُها النِّفاقُ، الّذي هو من أبْشعِ الأخلاقِ

دَلالةُ الاكْتفاءِ بالمفردِ في ﴿مَّرَضٌ﴾:

اكتَفَى النَّظمُ بإيرادِ لفظِ ﴿مَّرَضٌ﴾ مُفردًا دون جمعِه؛ لأنَّ تَعْدادَ المُحالِ يَدُلُّ على تَعْدادِ الحالِ عَقْلًا[3]، وكذلكَ فإنَّ النّاشئَ عن مرضِ النِّفاقِ والزّائدَ فيه هو زيادةُ ذلكَ النّاشئِ؛ أي: تأصُّلُه وتمكُّنُه وتولُّدُ مَذمّاتٍ أُخرَى عنه[4]؛ فالآيةُ أشارت إلى مرضٍ خاصٍّ هو أصلُ كلِّ الأمراضِ الأُخرى.

مرضُ النِّفاقِ أصلٌ لتولُّدِ أمراضٍ أُخرَى، تعصفُ بالإنسانِ في كلّ آنٍ

نُكتةُ تَعْدِيَةِ الزِّيادَةِ إِلَيْهِم لا إِلَى الْقُلوبِ، في سياقِ الآيةِ الكريمةِ:

قولُه تعالى: ﴿فَزَادَتْهُمْ﴾، يَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ: أَحدُهما: أَنْ يَكونَ على حَذفِ مُضافٍ، أَيْ فَزادَتِ السّورةُ قُلوبَهُم رِجسًا، والثّاني: أَنَّها زادَت ذَواتِهُم رِجسًا؛ لِأَنَّ مَرَضَ القَلْبِ مَرَضٌ لِسائرِ الجَسَدِ، وقَبولُه - إِثْرَ ذلك - كلَّ خبيث، فَصَحَّ نِسْبَةُ الزِّيادَةِ إِلَى الذَّواتِ، ويكونُ ذلك تَنْبيهًا عَلَى أَنَّ في ذَواتِهِم مَرَضًا ورِجسًا، وَإِنَّما أضافَ ذَلِكَ إِلَى قُلوبِهِم لِأَنَّها مَحلُّ الإِدْراكِ والعَقلِ[5].

مرضُ القلبِ مرضٌ لسائرِ الجسدِ، الّذي يقبلُ بالمرضِ كلَّ خبيثٍ

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 1/281.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 1/97.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 1/97.
(4) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 1/281.
(5) أبو حيّان، البحر المحيط: 1/97.

نُكتةُ اختيارِ لفظِ (الرِّجْس)، في السّياق الحكيم:

الرِّجسُ خبيثٌ جسيمٌ، مآلُ صاحبِه العذابُ العظيمُ

قولُه تعالى: ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾، الرِّجْسُ هنا الكُفْرُ، وأَصْلُهُ الشَّيءُ الخَبيثُ، كما في قولِه تعالى: ﴿رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [المائدة: 90]، وفيه بيانُ حقيقةِ ما انْطوتْ عليه قلوبُ المنافقينَ منَ الكُفر، والرِّجْسُ يأتي بمعنَى العذاب، وكأنَّ الآيةَ تُشيرُ بهذا إلى ما سيؤدِّي إليه نفاقُهم منَ العذاب[1]، كما قالَ تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [الأنعام: 125]، فذكرَ الرِّجسَ إيماءً إلى العذاب الذي اكتسبوه بأفعالِهم ونفاقِهم وكفرِهم باللّه تعالى، فهي إشارةٌ إلى أنَّهم على عملٍ خبيثٍ، يستحقُّ العذابَ، فيكونُ ذكْرُ الرِّجس بمعنى العذابِ من بابِ التَّنبيه على السّببِ وهو النِّفاقُ بلفظِ المآل وهو الرّجسُ، مع بيان أنَّهم خبثٌ يُحيطُ بهم، فاجتمع لهذه المُفردة تلك المعاني البديعةُ، بجلال الاستعمالِ، وكمال الاستخدامِ.

غرَضُ تنكيرِ لفظ ﴿رِجْسًا﴾:

إرادةُ عمومِ كلِّ ما يقعُ تحتَ كلمةِ الرِّجْس، من معاني البيانِ في الآيةِ

قولُه تعالى: ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾، وفيه جاءَ لفظُ (الرِّجْسِ) نكرةً ﴿رِجْسًا﴾؛ وذلك لإفادةِ العموم، فهي تعني كلَّ ما ينْطوي تحتها من معاني الكُفر، والقَذَر، والعذابِ، وكلَّ ما عَظُمَ اسْتنكارُه شرعًا وعقلًا[2]، فهمُ ازدادوا كفرًا وعذابًا وخبثًا، وبه استحقّوا الاستزادةَ منَ العذابِ يومَ القيامةِ.

بَلاغةُ ذكْرِ قَيْدِ ﴿إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾:

الأعمالُ الباطلةُ تزدادُ مع الوقتِ اسْتحكامًا، والحذرُ منها ضروريٌّ

سيقَ قَيْدُ ﴿إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ في قولِه تعالى: ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾، ولم يَرِدْ هذا في الحديثِ عنِ المؤمنين؛ فلم يقل: فزادتهم إيمانًا إلى إيمانِهم؛ لأنَّ المرادَ زادتْهم كُفرًا إلى كفرِهم؛ لأنَّهم كُلَّما جدَّدوا بتجديدِ اللّه الوحْيَ كُفْرًا ونفاقًا ازدادَ كُفرُهم واسْتحكمَ

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 5/529، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/66.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 5/529.

وتضاعفَ عقابُهم، وعذابُهم متجدِّدٌ عليهم في كلِّ وقتٍ في الدُّنيا والآخرة، فلمّا ازدادَ الكفّارُ رِجْسًا من أجلِ كفرِهم بالسّورةِ، كانت كأنَّها هي الَّتي زادتْهم، وفيها إشارةٌ إلى أنَّ الأعمال الباطلةَ تزداد مع الوقتِ استحكامًا؛ فإن لم ينتبهِ الإنسانُ لنفسِه، سقط في فكِّ نفسِه، وأمّا المؤمنون فإيمانُهم أصلٌ ثابتٌ راسخٌ مُستقِرٌّ في قلوبِهم[1]، فلا داعيَ لذكْرِه، ولا التَّنبيهِ عليه؛ فهو من فضلِ اللّه على عبادِه، بخلاف المنافقين فالتَّنبيهُ على وجود الرِّجسِ أصلًا تابعٌ لقاعدة العدلِ الإلهيّ؛ فإنَّ اللّه تعالى لا يُحاسِبُ عبادَه إلّا بما اقترفتْه أيْدِيهم.

نُكتةُ تعْدِيةِ ﴿فَزَادَتْهُمْ﴾، بحرفِ ﴿إِلَىٰ﴾:

التَّهكُّمُ بمن يَستزيدُ عذابًا إلى عذابِه

في قولِه تعالى: ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ تعدَّى الفعلُ ﴿فَزَادَتْهُمْ﴾ بـ ﴿إِلَىٰ﴾؛ وذلك لأنَّ الفعلَ (زادَ) قد ضُمِّنَ معنَى الضَّمّ، أي: فضمَّتْ كفرًا جديدًا إلى كفرِهم الأصليِّ[2]، ولم يقل: (فزادتهم رجْسًا مع رجْسِهم) وذلك لبيانِ أنَّ الرِّجس المُزادَ، أُضيف على الرِّجس السّابقِ، تنبيهًا أنَّ القومَ يجمَعون أرجاسَهم، ويَستزيدون من عذابِهم، ففيه معنى التَّهكُّم بهم، مُقابَلًا للتَّهكم الواردِ في ثنايا سؤالِهم: ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا﴾؟ وهذا من لطيفِ الرَّدِّ الضِّمنيِّ على المنافقين.

فنُّ الازْدواجِ بين: ﴿وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ و ﴿وَمَاتُواْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾:

البشارةُ للمؤمنينَ الرّاسخين، مُقابِلَ الموتِ على الكُفرِ للمنافقين الضّالّين

قوبِل قولُه تعالى: ﴿وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾، في جانبِ المؤمنين، بقولِه تعالى: ﴿وَمَاتُواْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾، بجانبِ المنافقين تحسينًا بالازْدواج، بحيث كانت للسّورةِ فائدتانِ للمؤمنين، ومُصيبتانِ على المنافقين، فجُعِلَ موتُهم على الكُفرِ المُتَسبِّبِ على زيادةِ السّورةِ في كُفرِهم،

(1) الزَّمخشريّ، الكشّاف: 2/222، والبقاعي، نظم الدُّرر: 9/52، وأبو السُّعود، إرشاد العقل السليم: 2/219.

(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 5/529، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/66.

بمَنزِلةِ مُصيبةٍ أُخرى غيرِ الأولى، وإنْ كانتْ في الحقيقةِ زيادةً في المصيبةِ الأولى، وهذا وجهُ نظمِ الآيةِ، على هذا النَّسْجِ المُحكَمِ، وفيه ما فيه من البلاغةِ والبديع[1].

بَلاغةُ الجملةِ الحاليَّةِ ﴿وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾:

بيانُ استصحابِ المنافقين، حالةَ الكفرِ والموتَ عليه

جاءتِ الجملةُ ﴿وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ حاليَّةً للدَّلالةِ على اسْتحكامِ هذه الحالةِ الَّتي هم عليها وهي الكفرُ، فكانت مصاحبةً لهم متمكِّنةً منهم إلى أن ماتوا عليها[2]، وفيه أنَّ حالَ الكفرِ لم ينفكَّ عنهم في جميعِ أعمالِهم، ممّا يزيدُ التَّوبيخَ لهم والتَّعنيفَ عليهم، فهمُ ازدادوا رجْسًا وماتوا وهم في حال الكفرِ.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الفؤادُ والقلبُ:

القلبُ اسمٌ للجارحةِ عمومًا، والفؤاد اسمٌ لحالةِ التَّوقُّدِ خُصوصًا

الفؤادُ كالقلبِ، لكن يُقالُ له فؤادٌ إذا اعْتُبِرَ فيه معنَى التَّفؤُّد، أي: التَّوقُّد، يُقالُ: فَأَدْتُ اللَّحم: شويتُه، ولحمٌ فَئِيدٌ: مشويٌّ، قالَ تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾﴾ [القصص: 10]، وقال تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾﴾ [النَّجم: 11]، وقال تعالى: ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ﴿٧﴾﴾[3] [الهمزة: 6 - 7].

والقلبُ: اسْمٌ للجارحة، وسُمِّي به؛ لأنَّه وُضِعَ في موضعِه منَ الجَوْف مقلوبًا، وهو عُمدةُ البدن، والأفئدةُ توصَفُ بالرِّقَّة، والقلوبُ باللّين؛ لأنَّ الفؤادَ غشاءُ القلب، إذا رقَّ نفذ القولُ فيه وخَلُصَ إلى ما وراءه، وإذا غَلُظَ تعذَّر وصولُه إلى داخله، وإذا صادفَ القلبُ شيئًا علقَ به إذا كان ليِّنًا[4].

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 11/66.
(2) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 9/52، وأبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/619.
(3) الرّاغب، المفردات: (فأد)، والجرجانيّ، التَّعريفات، ص: 189.
(4) العسكريّ، الفروق اللغوية، ص: 433، والكفويّ، الكلّيّات: 3/41، 4/5.

وقلبُ الإنسانِ سُمِّيَ به لكثرةِ تقلُّبِه، ويُعبَّرُ بالقلبِ عنِ المعاني الَّتي تختصُّ به منَ الرّوحِ والعلمِ والشَّجاعةِ وغيرِ ذلك، كما في قولِه تعالى: ﴿وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ﴾ [الأحزاب: 10]، أي: الأرواح، وقولِه تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ﴾ [ق: 37] أي: علمٌ وفَهمٌ، وقولِه تعالى: ﴿وَلِتَطۡمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمۡۚ﴾ [الأنفال: 10]، أي تثبُتَ به شجاعتُكم ويَزولَ خوفُكم[1].

الرِّجْسُ والرِّجْزُ:

الرِّجْسُ كلُّ ما اسْتقذَرَه الشَّرعُ أوِ العقلُ أوِ الطَّبعُ، والرِّجزُ يكثرُ في العقوبةِ والكفر

الرِّجْسُ: الشَّيءُ القَذِر، قالَ تعالى: ﴿رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾، والرِّجْسُ يكونُ على أربعةِ أَوْجُه: إمّا من حيث الطَّبعُ، وإمّا من جهةِ العقلِ، وإمّا من جهة الشَّرعِ، وإمّا من كلِّ ذلك كالمَيْتةِ، فإنَّ الميتةَ تُعافُ طبعًا وعقلًا وشرعًا. ويُطلقُ الرِّجْسُ على النَّتن، كقولِه تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ﴾ [التَّوبة: 28]. وقيل: رِجْسٌ ورِجْزٌ للصَّوتِ الشَّديد[2].

وأمّا الرِّجزُ فأصلُه الاضْطرابُ، ومنه قيل: رَجَزَ البعيرُ رَجَزًا، فهو أَرْجَزُ، وناقةٌ رَجْزاءُ: إذا تقاربَ خَطْوُها واضْطَرَبَ لضَعفٍ فيها. والرِّجْزُ: الزَّلْزَلة، كما في قولِه تعالى: ﴿عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٞ﴾ [سبأ: 5].

وقولُه تعالى: ﴿وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ﴾ [المدّثر: 5]، يُقرأ بكسر الرّاء وضمّها. فمَن كسر أراد: الشرك، ومؤدّاه العذاب، ومن ضمّ الرّاء، فقيل: هو صَنَمٌ[3]، وقيل: هو كنايةٌ عنِ الذَّنب، فسمّاهُ بالمآل. وقولُه تعالى: ﴿وَيُذۡهِبَ عَنكُمۡ رِجۡزَ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ [الأنفال: 11]. والشَّيطانُ عبارةٌ عنِ الشَّهوةِ، ويُمكنُ أنْ يُرادَ برِجْزِ الشَّيطان: ما يدعو إليه منَ الكُفرِ والبُهتان والفسادِ[4].

(1) الرّاغب، المفردات: (قلب)، والكفويّ، الكلّيّات: 3/41، 4/5.
(2) الرّاغب، المفردات، والفيروزابادي، القاموس المحيط: (رجس).
(3) ابن خالويه، حجة القراءات، ص: 355.
(4) الرّاغب، المفردات، والفيروزابادي، القاموس المحيط: (رجز).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن عشر، سورة التوبة من الآية 87 إلى سورة يونس الآية 14
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن عشر، سورة التوبة من الآية 87 إلى سورة يونس الآية 14 [إشراف
مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 18 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-15-9
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 18 : المجلد الثامن عشر، سورة التوبة من الآية 87 إلى سورة يونس الآية 14.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-15-9
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-0758707 بتاريخ 2024/01/31م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»